

القصر الريف

Throne Village Architecture

Palestinian Rural Mansions
In the Eighteenth and Nineteenth Centuries

Suad Amiry

with contributions by Rana Anani

RIWAQ
Centre for
Architectural
Conservation



سلسلة رواق في تاريخ العمارة في فلسطين # 7
محرر السلسلة: سعاد العامري

عمارة قرى الكراسي: من تاريخ الإقطاع في ريف فلسطين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر
سعاد العامري بمساهمة من: رنا عناني

حقوق الطبع محفوظة: رواق، ٢٠٠٣ ©

Cloth ISBN 0-88728-292-X

Paper ISBN 0-88728-293-8

الناشر:

رواق: مركز المعمار الشعبي

ص.ب. ٢١٢ رام الله، فلسطين

تلفون: ٦٨٨٧ ٢٤٠ ٩٧٢

فاكس: ٦٩٨٦ ٢٤٠ ٩٧٢

بريد الكتروني: riwaq@palnet.com

صفحة الكترونية: <http://www.riwaq.org>

تصميم: توربو ديزاين

تصوير: ميا جروندال

رسومات مائية: اليزابث هاردن

رسومات معمارية: فراس رحال

إشراف فني: يارا الشريف

تدقيق لغوي: عارف حجاوي

بدعم من سيدا Sida الوكالة السويدية للتممية والتعاون الدولي

المحتويات

شكر وتقدير	٩
المقدمة	١٠
١. قرى الكراسي وعائلات الشيوخ في ريف فلسطين	١٦
٢. شيوخ قرى فلسطين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر	٢٣
٣. عمارة قرى الكراسي همزة وصل بين العمارة المدنية والعمارة الفلاحية	٣٧
٤. قصور وقلاع قرى كراسي جبل نابلس:	
• صانور - قلعة صانور- آل جرار	٦٠
• عرابة - قصور آل عبد الهادي	٧٨
• كور - قصور آل الجيوسي	٩٢
• بيت وزن - قصر آل القاسم	١١٢
• برقة - قصر آل مسعود	١٢٦
• سبسطية - قصر الكايد	١٤٠

٥. قصور وقلاع قرى كراسي جبل القدس:

- قرية العنب - قصور ابو غوش ١٥٦
- راس ابن سمحان - قلعة ابن سمحان ١٦٨
- نعلين - قصر الخواجا ١٨٤
- عبوين - قصر سحويل ١٩٦

٦. قصور وقلاع قرى كراسي جبل الخليل:

- دورا - قصر عمرو ٢١٠

٧. الهوامش ٢٢٢

٨. الملاحق ٢٢٥

٩. المراجع ٢٢٦

١٠. ملخص باللغة الانجليزية ٢٢٩



شيوخ ريف فلسطين

في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

المقصود بالريف الجبلي الفلسطيني هنا مناطق سلسلة الجبال الوسطى من فلسطين (من جنين حتى الخليل)، فبينما كان نفوذ والي عكا ووالي غزة يمتد على القرى والمدن الساحلية من فلسطين، كان نفوذ شيوخ النواحي يمتد على منطقة الجبال الوسطى، أي جبال نابلس والقدس والخليل. أما العشائر البدوية في فلسطين فقد بسطت نفوذها على مناطقها التي كان أهمها صحراء النقب، ووادي الأردن ومنحدراته الشرقية، ومنطقة سهول مرج ابن عامر وسهل الحولة بالإضافة إلى بعض مناطق السهول الساحلية مثل أبو كشك في يافا وغزة، وعرب الشبلي في منطقة الجليل. كانت المناطق الجبلية الوسطى من فلسطين تحت سيطرة وزعامة شيوخ النواحي. وقد تعزز هذا النفوذ وضعف مرات عديدة خلال الحكم العثماني لفلسطين. وكان نفوذ شيوخ نواحي ريف فلسطين في أوجه عندما تميزت الحكومة العثمانية باللامركزية أو في فترات ضعف الإمبراطورية. وقد اكتسب شيوخ النواحي سطوة ونفوذاً كبيراً لأن الحكومة العثمانية اللامركزية أعطت أو اعترفت لشيوخ النواحي بدورهم "كملتزمين"، أي الالتزام بجمع الضرائب من قرى نواحيهم. كما كان لشيوخ النواحي مسؤولية حفظ الأمن في مناطقهم، ومن ثم تنظيم الجيوش المحلية، بالإضافة إلى مسؤولياتهم بتنظيم وحماية موكب الحج السنوي إلى مكة. وقد استطاع الكثير من شيوخ النواحي، ونتيجة لنظام الالتزام العشري، جمع أموال طائلة من فلاحي القرى التي كانت تحت سيطرتهم. ويسمى نظام الضريبة الالتزام العشري نسبة إلى السماح لشيوخ النواحي بجمع عشر المحصول



بوابة قصر يوسف عبد الهادي - عرابة

لصالح الدولة العثمانية. وفي كل الحالات تجاوزت الحصنة التي كانت تجمع من قبل شيوخ النواحي العشر لتصل أحياناً إلى النصف. وقد كان هناك علاقة عكسية فكلما ضعف الحكم العثماني (كما كان الحال في أواخر القرن الثامن عشر) وسَّع شيوخ النواحي نفوذهم في المناطق المجاورة، ووقعت بسبب ذلك عدة مناوشات وصراعات ومعارك بين شيوخ النواحي، أدت إلى نقل مسئولية التزام المناطق من مشيخة إلى أخرى. ومما لا شك فيه، أنه نتيجة نظام الالتزام والتحالفات المختلفة فيما بينهم، أو مع السلطة العثمانية، برز مشايخ وعائلات شبه اقطاعية استمر نفوذها وحكمها في التوسع، ولم يتم تفويضها فعلياً إلا في نهاية القرن التاسع عشر.

أما نفوذ وصلاحيات وامتيازات شيوخ النواحي فقد اختلفت من منطقة إلى أخرى، ومن فترة إلى أخرى. وبشكل عام يمكن القول، إن سطوة وعزوة شيوخ نواحي مدينة وجبل نابلس، وهم طوقان، وآغا النمر، وجرار، وعبد الهادي، والقاسم، والجوسي، كانت أقوى بكثير مما كان عليه حال شيوخ النواحي في منطقة جبل القدس والخليل، وذلك لخصوبة أراضي منطقة جبل نابلس، وكثرة قراها، وغنى وسطوة تجار مدينة نابلس. وقد امتد نفوذ شيوخ ريف جبل نابلس، كما سنرى لاحقاً، إلى السيطرة على معظم مدن فلسطين لتصل إلى جنين ونابلس، القدس ونواحيها، وصيدا وعكا ويافا وغزة. كما كان الحال بالنسبة لآل عبد

الهادي والقاسم (أنظر عرابة وبيت وزن). وقد كان آل جرار اكثر شيوخ نواحي جبل نابلس نفوذاً، وفي فترة لاحقة، آل عبد الهادي في عرابة، والقاسم في بيت وزن ومن ثم جيايسة كور وريان جماعين. أما زعماء شيوخ جبل القدس فهم آل ابو غوش، زعماء حزب اليمن، وآل الخواجا في نعلين، وآل سمحان شيوخ قرية ابن سمحان زعماء حزب قيس. ومن زعماء جبل القدس ايضاً براغثة دير غسانة وآل سحويل في عبوين.

اما في منطقة جبل الخليل فقد فاق نفوذ آل عمرو في دورا الخليل، نفوذ كل من العزة ولحام في بيت جبرين وبيت عطاب.

أما علاقة الريف بالمدينة، او بمعنى آخر علاقة قرى شيوخ النواحي بالمدن الرئيسية بالجبل أي نابلس والقدس والخليل، فيلخصها المؤرخ بشارة دومانى بالقول: "إن مدينة الخليل كانت امتداداً لريفها، بينما كانت القدس بمعزل عن ريفها، واتسمت نابلس بعلاقة حيوية مع ريفها"^(١). ولا شك في أن هناك مصادر كثيرة (أنظر قائمة المراجع) تصف العلاقات الحيوية التي ربطت نابلس بمحيطها، وأهمها على الاطلاق، كتاب المؤرخ دومانى "إعادة اكتشاف فلسطين: أهالي جبل نابلس ١٧٠٠-١٩٠٠". ولكن للأسف ليس لدينا دراسات مفصلة توضح علاقة شيوخ نواحي القدس والخليل بمدنها كما هو الحال في مدينة نابلس. ولا شك أن نابلس قد لعبت دوراً اقتصادياً وسياسياً هاماً، وشكلت محوراً رئيسياً في تشكيلات وتحالفات شيوخ النواحي فيما بينهم، او في تحالفاتهم مع ولاية عكا ودمشق، ومن ثم الحكومة المركزية. ولم يقتصر تأثير نابلس على جبل نابلس فقط، فقد تعداه الى مناطق نفوذ شيوخ جبل القدس كآل ابو غوش في قرية العنب وآل سمحان في راس ابن سمحان.

اما عن جبل القدس فيقول الكسندر شولش: "بينما كانت مشاحنات الزعماء المحليين في جبل نابلس تتجاوز الكفاح من اجل السيطرة على قرى ومناطق منفردة لتشمل السيطرة على نابلس أو منصب الحاكم فيها، فإن عاملاً كهذا لم يكن له دور في المنطقة الجبلية المحيطة بالقدس". ويضيف واصفا ابناء الفئة العليا في القدس: "كانت مراكزهم تستند بالدرجة الاولى إلى تولي الوظائف الدينية والاقواف الواسعة النطاق، وإلى عضوية الهيئات الادارية في القدس"، ويضيف: "أي ان القضية بالنسبة لوجهاء القدس لم تكن قضية الحكم المباشر على الاراضي المحيطة، بل قضية رعاية"^(٢).



تفصيلة حجرية من قصر يوسف الواكد - كور

نفوذ شيوخ نواحي فلسطين

لفترة من الزمن، أبقي العثمانيون التقسيمات الادارية التي كانوا قد ورثوها عن المماليك والتي شكلت فلسطين فيها الجزء الجنوبي من بلاد الشام حيث لم تشكل فلسطين بمحدودها الانتدابية، وحتى نهاية الحكم العثماني عام ١٩١٧، وحدة ادارية واحدة منفصلة. وبشكل عام، كانت ألوية فلسطين تابعة لولايتي دمشق وصيدا، ثم لولاية بيروت. بحيث تبعت المناطق الداخلية إلى إيالة دمشق بينما تبع ساحل فلسطين إلى إيالة صيدا.

وفي معظم الأحيان قسمت فلسطين الى خمسة او ستة ألوية هي: صفد وجنين ونابلس والقدس ويافا وغزة. وكما توضح الخارطة (صفحة ٢١)، فان التقسيمات الادارية العثمانية للجزء الجنوبي من بلاد الشام (فلسطين) كانت عرضية بحسب ما أرساه الرومان، حيث امتد قضاء اللجون (جنين) من البحر جنوب الطنطورة ماراً بسهل مرج ابن عامر ونزولاً إلى غور الاردن ثم الى جبال البلقاء في الاردن. وكذلك الحال بالنسبة لقضاء نابلس، الذي امتدت نواحيه من الشعراوية الغربية، وبني صعب، من البحر المتوسط متجهاً شرقاً عبر أراضي مشاريق جرار ومشاريق نابلس الى نهر الاردن شرقاً.

اختلفت هذه التقسيمات الادارية والتبعية السياسية من فترة لأخرى وارتبطت ارتباطاً وثيقاً بصراعات ومناطق نفوذ القوى التي دارت بين دمشق ومصر وعكا ونابلس، ولاحقاً (منذ منتصف القرن التاسع عشر) القدس.

لعبت مدن فلسطين الرئيسية صفد وعكا ونابلس والقدس ويافا وغزة أدواراً اقتصادية وسياسية مختلفة في فترات مختلفة. فيمكننا التعميم بالقول إن صفد وغزة لعبتا دوراً اقتصادياً وسياسياً هاماً خلال القرن السادس عشر، بينما تمتعت كل من عكا وخاصة ونابلس بدور اقتصادي وسياسي في غاية الأهمية خلال القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر، حيث كانت عكا وحكامها يشكلون المركز والثقل الحقيقي المتحدي وشبه المستقل عن الحكومة العثمانية المركزية، وخاصة خلال حكم والي عكا ظاهر العمر (١٧٣٠-١٧٧٥) وبعده الجزار.

أما القدس فقد تمتعت بأهمية دينية وقضائية أكثر منها اقتصادية وسياسية، فقد كانت مركزاً قضائياً رئيسياً وتساوت مكانتها القضائية مع كل من دمشق والرملة والمدينة المنورة. كما اكتسبت القدس مكانة ادارية وسياسية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حين فقدت عكا مكانتها، وفصلت القدس عام ١٨٧٤ عن بقية سناحق بلاد الشام، لتصبح سنجقاً مستقلاً تابعاً مباشرة للباب العالي في استانبول. وتم أيضاً إلحاق الوية يافا ونابلس والخليل وغزة بسنجق القدس، بذلك أصبحت مدينة القدس مركز السلطة بدلاً من عكا ونابلس.

ومن الجدير بالذكر، أن هذه المناطق الادارية، لم تخضع للحكومة العثمانية المركزية، بقدر خضوعها للحكام المحليين في فلسطين. فقد انتقل النفوذ على هذه المناطق، وتم تناقله بين حكام عكا، وحكام نابلس، وشيوخ



زخرفة حجرية من قصر القاسم - بيت وزن
قلعة آل جرار - صانور



قصر ابن سمحان - راس كركر

نواحي الجبل. فيها هو لواء اللجون (جنين) ينضم تحت سيطرة آل جرار، لينتقل الى مناطق نفوذ حكام عكا، ومن ثم إلى حكام مدينة نابلس ويستمر الصراع عليه قرابة قرن من الزمن. الحقت مناطق شيوخ النواحي (جنين، نابلس، القدس والخليل) ادارياً بولاية دمشق. حيث كان والي دمشق عملياً، هو مفتاح الوصول للسلطات العثمانية المركزية، وهو المسئول رسمياً عن التعيينات السياسية، وأساس الشرعية الرسمية. وقد كان من صلاحيات والي دمشق تعيين متسلم او شيخ الناحية، وعملياً كان يتم التعيين سنوياً ولدورة واحدة. ولكن فعلياً، اصبح شيخ الناحية منصّباً شبه وراثي. وحتى في الحالات التي يتم فيها فصل شيخ الناحية، فكثيراً ما يتم تعيين ابنه او ابن عمه او قريبه في هذا المنصب. وجرى العادة أنه عندما يقوم الوالي، او باشا الدورة*، بتعيين متسلم على ناحية يلبسه عباءة (وتدعى ايضاً فروة) ويقوم المتسلم من طرفه بتقديم هدية له^(٣). فبالرغم من التبعية الرسمية لمناطق جبل شيوخ النواحي الى والي دمشق، يمكننا القول إنه، وخلال ما يقارب القرن (١٧٣٠-١٨٣١)، كان ولاية عكا المتعاقبون هم الحكام الحقيقيين والمتنفذين والمؤثرين على نفوذ شيوخ نواحي فلسطين، بالرغم من تبعيتهم الرسمية لأمانة دمشق. وفي الاساس يعود ذلك لانشغال ولاية دمشق بصراعات داخلية مستمرة، ولانشغال الحكومة العثمانية المركزية بحروب خارجية عديدة (روسيا، فرنسا ومصر). وفي كثير من الأحيان قام والي عكا بتحدي الحكومة المركزية ووالي دمشق

*الدورة: هي الجولة السنوية التي يقوم بها ممثل الحكومة العثمانية المركزية من أجل تحصيل الضرائب من المتسلمين وشيوخ النواحي. وكان التعيين سنوياً منوطاً بقدرة المتسلم على جباية الضرائب.



مشربية في قصر ابن سمحان - راس كركر

وذلك بتعيينه متسلمين جدداً مناهضين للمتسلمين الذين تم تعيينهم من قبل الحكومة المركزية بواسطة والي دمشق. ويصف احسان النمر في كتابه "تاريخ جبل نابلس والبقاء" الوفد الذي جاء الى نابلس، مبعوثاً من طرف ظاهر العمر، بقوله: "اجتمعوا بامراء نابلس ووجهائها وعرضوا عليهم شروط الظاهر وهي تسليم جميع السلاح وخروج مصطفى بك واحمد بك (طوقان) الى الظاهر كي يلبسهما الأول متسلماً على نابلس والثاني متسلماً على القدس بدلاً من آل النمر متسلمي والي الشام"، ويضيف: "أي انه يريد ارغامهما على عصيان الدولة والانقياد له"^(٤).

أما التحالفات الرئيسية، التي سعى شيوخ النواحي من خلالها إلى الحصول على امتيازات ومكاسب اضافية، فيمكن تلخيصها بما يلي:

١. علاقة شيوخ النواحي بالحكومة العثمانية المركزية، ممثلة بوالي أيالة دمشق، ووالي أيالة صيدا، وهما المسئولان الرسميان ومصدر الشرعية
٢. علاقة شيوخ النواحي بحكام المدن، وخاصة ولاية عكا (ظاهر العمر والجزار) المصدر الحقيقي للامتيازات، وكذلك علاقة شيوخ النواحي بعائلات وبكوات نابلس والقدس
٣. علاقة شيوخ النواحي والتحالفات فيما بينهم (قيس ويمن)
٤. علاقة شيوخ النواحي وتحالفاتهم خلال الاحداث الهامة والرئيسية التي عصفت بفلسطين، وبالتحديد حملة نابليون في نهاية القرن الثامن عشر، وحملة ابراهيم باشا على فلسطين (١٨٣١-١٨٤٠)
٥. وأخيراً فترات اللامركزية والمركزية للحكومة العثمانية، وعلاقة الاخيرة مع القوى المسيطرة في اوروبا وهي أساسا فرنسا وبريطانيا وروسيا

لقد شكلت الصراعات والتحالفات المستمرة بين عائلات مدينة نابلس الرئيسية (طوقان وآغا النمر) مع حكام مدينة عكا (ظاهر العمر والجزار وعبد الله باشا) وأقوياء شيوخ الريف (جرار ولاحقاً عبد الهادي والقاسم)، المحاور الرئيسية للأحداث. ونتج عنها نقالات نوعية من حيث الامتيازات والمصالح الاقتصادية والنفوذ السياسي. وقد التقت هذه العلاقة الثلاثية بظلالها الثقيلة ليس فقط على جبل نابلس، بل تعدتها لتصل الى جبل القدس والخليل.

ومن الجدير بالذكر أن بعض هذه العائلات وبالتحديد، طوقان وآغا النمر، كانت قد أحضرت الى فلسطين، في منتصف القرن السابع عشر، من قبل الحكومة العثمانية، من حلب وحماة. وكان الهدف الرئيسي من احضارهم هو تركيز سلطة الدولة تحديداً بأعيان المدن ونزعها من شيوخ نواحيها المحليين. وقد اعطت الحكومة المركزية لهؤلاء اقطاعات كبيرة (تيمارات)* ليصبحوا فيما بعد القوى والزعامات المحلية الشبه مستقلة والمتحدية الرئيسية لسلطة ونفوذ الحكومة المركزية!

*التيمار هو الإقطاع، وكانت الحكومة المركزية تعطي أعيان المدن والإقطاع العسكري إيرادات الأراضي الزراعية لقرى كاملة.

أما آل جرار فقد قدموا من بلقاء الاردن الى سنجق اللجون (جنين) وذلك في منتصف القرن السابع عشر^(٥)، وأصبحوا أقوى شيوخ نواحي المنطقة بلا منازع ولذا لقبوا بـ "أمراء الريف". وباستثناء ثورة الفلاحين التي تزعمها شيخ بيت وزن قاسم الأحمد عام ١٨٤٣، كان شيوخ آل جرار، وخلال أكثر من مائة عام، الزعماء الرئيسيين للمنطقة. وقد كانت تحالفاتهم مع أو ضد حكام عكا أو نابلس ترجح كفة طرف على آخر.

أما سطوة آل جرار فقد كانت بالاساس ناتجة عن سيطرتهم على أراضٍ شاسعة، فبالإضافة الى سيطرتهم على مشيخة مشاريق الجرار والتي كان مركزها قرية الكرسي صانور، فقد سيطر آل جرار على قضاء اللجون (جنين)، والممتد كما ذكرنا سابقاً من قرية اللجون ومرج ابن عامر الى البلقاء شرقاً. وقد شكلت هذه الاراضي الخصبة مكاناً هاماً لزراعة القطن والحبوب والتبغ، كما سيطرت على طريق التجارة العام الواصل بين دمشق ومصر، بالإضافة الى طريق الحج. وقد شكلت ناحية اللجون السبب الرئيسي لتراتع آل جرار مع حكام عكا وحكام مدينة نابلس. فقد نجح ظاهر العمر في توسيع رقعة الاراضي الواقعة تحت سيطرته بانتزاع اللجون وضمها للمكيتة، بعد ان قتل شيخ آل جرار عبد الله عام ١٧٣٥. كما نجح حسين بيك عبد الهادي أيضاً في انتزاع ناحية اللجون من آل جرار. كما شهدت ناحية بني صعب، الممتدة غرباً الى البحر، ومركزها كور آل الجبوسي، صراعات دامت عشرات السنين. حيث نجح مصطفى بيك طوقان، باقناع والي دمشق، بتعيينه شيخاً على بني صعب لينشأ التراع على مشيخة بني صعب بين آل طوقان وآل الجبوسي. وبذلك سيطرت عائلات مدينة عكا ونابلس على مناطق نفوذ أقوى شيوخ ريف فلسطين. وبهذا نرى أن الصراعات قد تجاوزت شيوخ النواحي فيما بينهم من أجل حماية امتيازاتهم ومصالحهم الاقتصادية وعزوتهم السياسية.



شباك "مجوز" على الشيخ - قصر سحويل - عكا

شيوخ النواحي وتحالفات قيس ويمن

شكل التحزب الى فريقي قيس ويمن، السمة الرئيسية للتحالفات التي سادت في فلسطين خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. وقد تعددت الروايات الشفوية، وكذلك المصادر المكتوبة، حول أصول وتاريخ قيس ويمن. ففي كتابه "تاريخ جبل نابلس والبلقاء" يُرجع إحسان النمر أصول قيس ويمن الى العرب "الأصليين" قحطان وعدنان. فعدنان، أصوله حجازية (شمالية) بينما أصول قحطان يمنية (جنوبية). ويُرجع الخلافات إلى الصراع على الخلافة بين علي ومعاوية، حيث قام اليمينيون بمساندة علي، بينما ساندت قبيلة قيس المضرية (العديانويون) معاوية. ويضيف إحسان النمر أن الملك الناصر بن قلاوون، قسم أراض فلسطينية حيث أقطع القسم الشمالي لليمنيين، والقسم الجنوبي للقيسيين. وجعل وادي نابلس فاصلاً بينهما^(٦). وبالرغم من أن هذا الفصل، إن كان صحيحاً لفترة ما فإنه لم يستمر طويلاً، إلا أنه قد يفسر تواجد أغلبية للقيسيين في جبل



زخرفة حجرية من قصر إبراهيم - أبو غوش
قصر الشيخ صالح البرغوثي - دير غسانة

الخليل والقدس، واكثرية لليمنيين في مناطق نابلس.

أما ماكالستر ستيوارت وماسترمان، فيذكران أن قيس ويمن كانا أخوين لكل منهما عائلته ممتدة كبيرة، وقد ساد العداء بينهما الى حد تشكيل تحالفين سميا باسميهما، واستمر تأثيره قرونا عديدة^(*). ومهما كانت اصول وتاريخ قيس ويمن، فقد كانت النزاعات والتحالفات، المرتبطة بالمصالح الاقتصادية والسياسية، تقوم في حالات كثيرة بناءً عليها. وقد تزامنت ظاهرة قيس ويمن مع ظاهرة شيوخ النواحي وارتبطت بها ارتباطاً وثيقاً. ولم تقتصر هذه الظاهرة على مناطق الجبال الوسطى أي مناطق الفلاحين فقط، بل تعدتها لتشمل قبائل البدو في مناطق نفوذهم: النقب ووادي الأردن ومرج ابن عامر ويافا وغزة. وكثيراً ما شكلت قيس أسسا لتحالفات اشترك فيها الفلاحون والبدو والمدنيون.

وكذلك الحال بالنسبة لعائلات بعض مدن فلسطين، ففي مدينة نابلس كانت عائلة آغا النمر تترأس القيسيين بينما ترأس آل طوقان اليمن أما عائلة عبد الهادي فقد كانت هي أيضاً قيس.

ومما لا شك فيه، أن تحالفات قيس ويمن، قد لعبت دوراً اقل أهمية في المدن، حيث سادت علاقات العائلات الاقطاعية، كما كان الحال في مدينة نابلس والقدس. أما حاكم يافا محمد آغا ابو نبوت، فقد استطاع عام (١٨٠٧) ان يسيطر على جبل القدس والخليل، من خلال تحالفاته مع أبو غوش والخواجا في نعلين، بضم حزب اليمن له.

أما في جبل الخليل والقدس، فقد شكل القيسيون القسم الأكبر حيث سمي جبل الخليل، جنوب مدينة الخليل، بالقيسية الفوقا، ومركزها دوراً بزعامة آل عمرو، بينما سمي جبل الخليل، غرب مدينة الخليل، بالقيسية التحتا، ومركزها بيت جبرين بزعامة آل العزة. وقد كانت كل من بيت لحم بيت جالا ورام الله من القيس أيضاً. وهذا يفسر الهجرة المبكرة (أوائل القرن العشرين) لأهالي جبل الخليل، الى هذه المناطق. ومن هنا جاء الاسم الدارج حالياً قيسية للإشارة إلى سكان جبل الخليل القاطنين، منذ أكثر من مائة عام، في رام الله وبيت لحم وبيت جالا.

أما جبل القدس، فقد كان أيضاً ذا أغلبية قيسية. فكثيراً ما وجد شيوخ أبو غوش وشيوخ الخواجا في نعلين انفسهم محاطين بالقيسيين. فقد تزعم آل سمحان، من راس ابن سمحان قيسية جبل القدس، بينما تزعم أبو غوش، بمنية المنطقة* (بنو حارث)، وانضمت إليهم قرى بني زيد.

ومن الجدير بالذكر انه، وفي كثير من الأحيان، كانت القرية الواحدة مقسمة، فبعض الحمائل تبعت يمن، بينما تبعت الحمائل الأخرى قيس، كما كان الحال في بلدة رام الله، التي كانت ست من حمائلها قيس

* أبو غوش، نعلين، بيت اكسا، وبنو مالك، وبيتونيا، وقسم من البيرة، والبراغثة في دير غسانة ودير ابريع ودير دبان.



باستثناء حمولة الشقرة فقد كانت يمن، مما نتج عنه تحالف الأخيرة مع بيتونيا وأبو غوش. وكان هناك حالات غيرت فيها الحمولة أو القرية بأكملها انتماءها من قيس الى يمن أو العكس، ومثال على ذلك حادثة مطالبة أهالي رام الله (تحت زعامة يوسف حرب وعيسى جغب من اتباع قيس)، الشيخ مصطفى أبو غوش (زعيم يمن) ان يكونوا تحت جناح وحماية الشيخ عبد الله الكسواني زعيم حزب اليمن في حينها، ولكن الاخير كان دائما يمايز بين اليمنيين الأصليين والجدد مما اضطر أهالي رام الله والبيهر إلى العودة إلى تحالفهم الاصليه مع قيس^(٨).

أما في منطقة نابلس فقد شكلت عائلة آغا النمر، من مدينة نابلس، تحالفات قيسية مع كل من عبد الهادي عرابة، قاسم بيت وزن، وجيوسي كور. وبالمقابل شكلت عائلة طوقان، زعامة يمن بمساندة آل جرار في صانور وآل سيف في برقة وريان جماعين وآل كايد في سبسطيه، ولكن هذا لم يمنع الصراعات الدموية والتي استمرت سنوات عديدة بين آل جرار وآل الريان وكلاهما يمن، وكذلك آل عبد الهادي وجيايسة كور وكلاهما قيس مما يؤكد ان المصالح الذاتية والسعي وراء الامتيازات أدت الى تحالفات وصراعات خارجة عن نطاق قيس ويمن.

وبذلك نرى ان تحالفات قيس ويمن امتدت عبر مناطق نفوذ عائلات المدن وشيوخ نواحي الريف ومناطق نفوذ عشائر البدو. فقد تحالف آل سحويل مع آغا النمر بينما تحالف البراغثة (منافسو آل سحويل) مع آل القاسم وقد ساد هذا النمط من تحالفات المتنافسين على نفس الناحية فكثيرا ما لجأ طرف لمناصرة العائلات الاقطاعية في نابلس (طوقان وآغا النمر) أو شيوخ النواحي الأقوياء (جرار وعبد الهادي وآل القاسم والجيايسة).



زخرفة حجر - عرابة
قصر فارس مسعود - برقة

واخيرا من الملفت للانتباه ان تحالفات قيس ويمن لم تكن مبنية على خلافات عقائدية وفكرية، فليس هناك أية أيديولوجية فكرية لأي منهما، مما يؤكد أنها شكلت فقط قاعدة سهلت التحالفات والصراعات المبنية على المصالح الاقتصادية.

وقد شكل اللون الأحمر شعار القيس، بينما شكل اللون الأبيض شعار اليمن. وفي حالات كثيرة، كما هو الحال في قلعة ابن سمحان في رأس كركر، استعمل الصحن الصيني الأحمر في قمة القبة أو العقد رمزا لقيس، وكذلك استعملت الحنة كصبغه حمراء لتلوين النقوش الحجرية فوق قوس المداخل والبوابات.

محطات رئيسية في نفوذ شيوخ النواحي

يمكننا هنا الحديث عن ثلاث حقبة شكلت محطات رئيسية تم فيها تحدي، ومن ثم زعزعة، وأخيراً أفول نفوذ عائلات شيوخ النواحي:

١. فترة حكم ظاهر العمر الزيداني (حكم ١٧٣٠-١٧٧٥) ومن بعده أحمد باشا الجزار (عاش ١٧٣٥-١٨٠٤). وقد هاجم ظاهر العمر قرى الكراسي خلال حملته مع أمير لبنان عام ١٧٦٤

٢. حملة ابراهيم باشا على فلسطين (١٨٣١-١٨٤٠)

٣. سياسات التحديث والتنظيمات العثمانية والمتمثلة بقانوني الأراضي عام ١٨٥٦ و ١٨٥٨، وقانون الولايات لعام ١٨٦٤، وقانون الأراضي لعام ١٨٧٨ وكان أهم الأحداث التي وقعت في تلك الحقبة على الإطلاق، محاولة ابراهيم باشا (١٨٣١-١٨٤٠) كسر نفوذ شيوخ النواحي، وما نتج عن ذلك من "ثورة الفلاحين" عام ١٨٣٤، بهدف التصدي لمحاولاته كسر شوكتهم، والتي بدورها سهلت مهمة الدولة العثمانية فيما بعد، وأدت الى نقل مركز الثقل والسلطة من الريف الى المدينة.

حملة ابراهيم باشا على فلسطين وثورة شيوخ النواحي (١٨٣٤)

كان لمحاولة محمد علي الكبير، والي مصر ووالد ابراهيم باشا، اثر كبير على نفوذ وصلاحيات شيوخ مناطق فلسطين. فخلال عملية تحديث اقتصاد مصر وإدارتها، قام محمد علي الكبير بالانفتاح على الدول الأوروبية والتحالف معها، خاصة فرنسا، في محاولة منه لإضعاف سلطة الدولة العثمانية في استانبول والاستقلال عنها. ومن أجل زيادة فائض المدخول من التجارة الدولية، وخاصة تجارة القطن والحبوب، ولزيادة الإيرادات الناتجة من الأسواق العالمية، قام محمد علي الكبير بتوسيع رقعة دولته. وكجزء من حملاته، ارسل محمد علي باشا ابنه ابراهيم ليلسط نفوذه على فلسطين عام ١٨٣١. وقد شكلت هذه الحملة خطراً وتهديداً كبيراً على مصالح الزعماء المحليين وعلى رأسهم ابراهيم باشا والي ايلة صيدا في حينها، ووالي عكا، وزعامات وحكام مدينة نابلس طوقان وآغا النمر. وشكلت حملة ابراهيم باشا أيضاً، خطراً حقيقياً على معظم شيوخ نواحي جبل نابلس والقدس والخليل، وخاصة آل جرار وآل القاسم. حيث عمد ابراهيم باشا، كما سنرى، إلى اضعاف نفوذهم من خلال تحالفاته العديدة مع أعيان المدن، الذين عمل جاهداً لتركيز السلطة والصلاحيات بأيديهم، ونزعها من الريف وشيوخ الريف.

وفي البداية، وفي محاولة من ابراهيم باشا لتحجيد شيوخ النواحي، وخاصة الاقوياء والمتنفذين منهم، (قاسم الأحمد وعبد الله جرار)، قام بالعمل على تشيبتهم واستمرار نفوذهم، وذلك من خلال مرسوم أرسل الى نابلس وجاء فيه، "وأما بلاد جبل نابلس جميعها فإننا أبقيناها بعهدة مفاخر المشايخ الشيخ محمود عبد الهادي والشيخ يوسف بن قاسم الأحمد، والشيخ عبد الله الجرار، والشيخ يوسف والشيخ عبد الوهاب الجيوسي يتعاطوا أمور الاحكام وجباية الأموال"^(٩) وقد فعل ذلك في البداية ليتحاشى فتح جبهات

عديدة، وفي خطوة لاحقة قام ابراهيم باشا بتركيز الصلاحيات والسلطة بكل من آل عبد الهادي من عرابة، والشيخ قاسم الأحمد اقوى شيوخ نواحي المنطقة في حينها. وعليه، قام بتعيين الشيخ حسين عبد الهادي والياً على ايالة صيدا بدلاً من ابراهيم باشا، وعين اخاه الشيخ محمود عبد الهادي متسلماً على يافا، وابنه الشيخ سليمان متسلماً على جنين هذا بالإضافة الى سيطرة آل عبد الهادي واقطاعهم في عرابة (الشعراوية الشرقية) وام الفحم. كما قام ابراهيم باشا بتعيين الشيخ قاسم الأحمد متسلماً لمدينة القدس، وابنه الشيخ يوسف متسلماً لمدينة نابلس. وبذلك تم تركيز السلطة عملياً بشخصين اثنين اولهما من المدينة (أصل ريفي) وثانيهما من زعامات الريف. لقد أعطى هذا التقسيم المتساوي في السلطة استقراراً لابراهيم باشا دام ثلاث سنوات. الا أن ابراهيم باشا عمل على اضعاف شيوخ النواحي لصالح أعيان المدينة. فقام بتنحية الشيخ قاسم الأحمد عن متسلمية القدس وتعيين ابنه مكانه، ومن ثم اعطاء متسلمية نابلس الى سليمان ابن الشيخ حسين عبد الهادي. كان لإضعاف شيوخ نواحي الجبل ممثلين بالشيخ قاسم الأحمد الأثر الكبير على تجنيدهم وتحريكهم ضد ابراهيم باشا فيما يعرف بثورة شيوخ النواحي وتعرف أيضاً بثورة الفلاحين. وكما هو متوقع، فقد تزعم هذه الثورة الشيخ قاسم الأحمد، الذي قام خلال موسم الحج، بالاتفاق مع شيوخ المنطقة على إعلان التمرد على ابراهيم باشا ورفض دعمه وتقديم الجنود له. وخلال اجتماع في بيت وزن حضره الشيخ عبد الله الجرار، والشيخ ناصر المنصور من جالود، والشيخ اسماعيل ابن سمحان، وشيوخ كل من برقة ودير غسانه أعلن العصيان على ابراهيم باشا ورفض دفع الضرائب له، لأكثر من عام، احتجاجاً على تقليص دورهم لصالح حسين بيك عبد الهادي. ونتيجة لذلك أعلن ابراهيم باشا الحرب ضدهم واسماهم ”بالاشقياء“*.

قام ابراهيم باشا عام ١٨٣٤ بتهديد ”الاشقياء“ وكل من يقدم المساعدة اليهم. وقد نجح كل من أحمد آغا النمر، وحسين عبد الهادي خاصة، بالعمل على تحييد الكثير من شيوخ نواحي نابلس، مما نتج عنه محاصرة واضعاف انصار ثورة الفلاحين قاسم الأحمد وعبد الله الجرار، مما اضطرهم الى محاربة ابراهيم باشا في جبل القدس، الذي كان الشيخ قاسم الأحمد متسلماً له. ولكن عندما هزموا في منطقة القدس، في ما يسمى بموقعه قرية الدير** انسحب جزء منهم الى جبل نابلس حيث تابعت جيوش ابراهيم باشا محاربتهم فدمرت قلعة صانور وقتلت شيخها عبد الله الجرار. مما اضطر الشيخ قاسم الاحمد، وولديه الشيخ يوسف والشيخ محمود، إلى الهروب الى الخليل، ومن ثم اللجوء الى اعوانهم آل العدوان وبني عترة شرق نهر الاردن. لحقت جيوش ابراهيم باشا بهم، لتحاصرهم في مدينة الكرك، حيث تم تدمير الكرك والقرى والمناطق المحيطة بها عن بكرة ابيها. وتم سجن وقتل الشيخ قاسم الأحمد وابنائيه في دمشق، وبذلك أخمدت ثورة شيوخ الفلاحين، وتم اخضاعهم من قبل ابراهيم باشا^(١).



تفاصيل معمارية من قصر آل القاسم - بيت وزن
قصر حرب الجيوشي - كور

* تظهر كلمة الأشقياء بجميع البيانات الصادرة من ابراهيم باشا ضدهم.
** على الأغلب ان المقصود هنا هو دير مار الياس الذي يقع على طريق القدس بيت لحم وليس قرية الدير.



ونتيجة لهذه التحالفات، قام ابراهيم باشا باعادة توزيع مناطق نفوذ شيوخ النواحي، فقام بمكافأة ابو غوش وعين الشيخ جبر ابو غوش حاكماً للواء القدس (١٨٣٤-١٨٣٥) رغم أنه لم تجرِ العادة بتعيين مشايخ الريف حكاماً على القدس^(١). فضمت مناطق جماعين الشرقية التابعة لآل جرار، الى مناطق جماعين الغربية تحت إمرة آل الريان. ونصب شيوخ آل سحويل، من عبوين، ملتزمين لناحية بني زيد بدلاً من شيوخ براغثة دير غسانة. وضمت مناطق نفوذ آل سمحان في راس ابن سمحان، الى مناطق نفوذ ابو غوش. وكذلك الحال بالنسبة لناحية بني مرة، حيث قسمت الى ناحيتين، وعين شيخ جديد من عائلة مبارك من سلواد. وهكذا، الى أن انتهت فترة حكم ابراهيم باشا وخروجه من فلسطين عام ١٨٤٠، نتيجة لمحاربة السلطان العثماني، عبد المجيد، لابراهيم باشا والمشروع التوسعي لوالده محمد علي الكبير بدعم وإيعاز من الدول الأوروبية.

الضربة الأخيرة لشيوخ النواحي من قبل الحكومة العثمانية المركزية (١٨٥٠-١٩٠٠)

قامت الحكومة العثمانية بكسب كل من فرنسا وبريطانيا، الداعمين الأساسيين لمحمد علي الكبير وابراهيم باشا، وذلك بإعطائهم امتيازات خاصة نتج عنها مساعدة الانجليز العثمانيين بطرد ابراهيم باشا من فلسطين. وبذلك بدأت مرحلة جديدة اتصفت بمركزية الحكومة العثمانية، حيث أتبعت معظم مناطق فلسطين مباشرة الى استانبول. وقد عملت الحكومة العثمانية على إصدار مجموعة من التنظيمات والإصلاحات، التي كان هدفها، تركيز السلطة بأعيان المدن ومن ثم ضرب النفوذ المتبقي لشيوخ نواحي جبل نابلس والقدس والخليل. ومن أهم هذه الاصلاحات نقل مركز القوة من نابلس الى القدس، حيث أعلنت الحكومة العثمانية، عام ١٨٧٤، القدس سنجقاً مستقلاً تتبع له كل من نابلس والخليل ويافا، وفيما بعد غزة وبئر السبع. وبذلك أصبح سنجق القدس، المستقل عن والي دمشق، يتصل مباشرة مع استانبول، وعاصمة حقيقية لفلسطين.

قامت الحكومة العثمانية بتوجيه الضربات القاضية لكل ما تبقى من نفوذ شيوخ النواحي، ووجهت سهامها الى سائر العائلات الشبه اقطاعية كآل جرار وعبد الهادي. ففي ربيع عام ١٨٥٨، دمرت جيوش الحكومة العثمانية قرية عرابة وهدمت أجزاء كبيرة منها. وكررت ذلك مع آل جرار، أمراء ريف فلسطين، وغيرهم، حيث طوت والى الأبد، تاريخ قرنين من نفوذ وصلاحيات وامتيازات شيوخ ريف فلسطين. وبقيت قصورهم وقلاعهم شاهداً ليومنا على هذا التاريخ المثير.



عمارة قرى الكراسي

همزة وصل بين العمارة المدنية والعمارة الفلاحية

عند الحديث عن العمارة في فلسطين، يمكننا الإشارة بشكل عام إلى العمارة المدنية كما في مدينة عكا ويافا وغزة والقدس ونابلس، والعمارة الفلاحية المنتشرة في القرى الفلسطينية. ولا شك أن هناك فروقاً كبيرة وواضحة للعيان بين هذين النمطين من العمران والتخطيط. فقد شكلت التجارة في الأساس العماد الاقتصادي لأهل مدن فلسطين، وقد انعكس ذلك في تخطيط المدن بحيث احتوت على مناطق سكنية (حارات)، بالإضافة إلى الأسواق التجارية المتخصصة والخانات والوكالات والحمامات والمصابين بالإضافة إلى المباني الدينية من مساجد ومقامات وزوايا وكنائس. وقد كان لبعضها أسوار تحيط بالمدينة كما هي الحال في كل من مدينة القدس وعكا. في حين شكلت الزراعة المصدر الأساسي للقرى في فلسطين. وقد انعكس ذلك ليس فقط على تصميم البيت الفلاحي ولكن أيضاً على تخطيط القرية الفلسطينية بشكل عام. فقد خلعت القرى من الأسواق التجارية والمباني الأخرى المتعلقة بالتجارة وحوط فقط حارات سكنية مقسمة في الأساس حسب الحمايل المختلفة كما احتوت القرية على مبنى ديني صغير: المسجد أو الكنيسة، وكثرت فيها المقامات التي لعبت دوراً دينياً كبيراً في حياة الفلاحين. وشكلت ساحة البلد والمضافة أو الديوان الحيز الرئيسي العام، الذي كان يجتمع فيه رجال القرية بشكل يومي وفي المناسبات كالأعياد والأفراح والاتراح.



انعكس النشاط الاقتصادي في كل من المدينة والقرية على دور النساء، فبينما لعبت المرأة في القرية الفلسطينية دوراً أساسياً وهاماً في الحياة الزراعية للقرية في داخل البيت وخارجه، اقتصر دور المرأة المدنية، إلى حد كبير، على نشاطها داخل البيت، مما أدى إلى عزل أكبر لنساء المدن، ومن ثم فصل واضح بين حيز النساء وحيز الرجال، الشيء الذي لا نراه بشكل حاد في القرى الفلسطينية. وقد شكلت نساء عائلات شيوخ النواحي في قرى الكراسي استثناء من ذلك حيث كان هناك فصل واضح بين حيز النساء وحيز الرجال.

لقد شكلت عمارة شيوخ النواحي في قرى الكراسي طرازاً معمارياً مدني السمات في محيط ريفي. وبمعنى آخر، حملت قصور النواحي أو القلاع الواقعة في هذه القرى، سمات معمارية مدنية من حيث التخطيط والوظيفة والحجم والتفاصيل، وجاءت مشابهة لقصور الأعيان والتجار الأثرياء في المدن وخاصة في مدينة نابلس. وبذلك من الممكن اعتبار عمارة قرى الكراسي همزة وصل بين هذين النمطين.

وقد عكست هذه العنصر الوضع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي لعائلات شيوخ النواحي الشبه إقطاعية، وارتباطها الوثيقة نسبياً مع المدينة. فمثلاً ارتبطت علاقات ومصالح آل جرار في صانور، وآل الريان في جماعين، مع عائلة طوقان في نابلس. وارتبطت علاقات ومصالح شيوخ آل الجيوسي في كور، وآل القاسم في بيت وزن، مع عائلة آغا النمر في نابلس. وفي بعض الحالات، وكما هو الحال مع عائلة عبد الهادي، التي وجدت في الأصل في قرية عرابة، وانتقل جزء منها لاحقاً إلى مدينة نابلس، فقد لعبت دوراً سياسياً هاماً في الريف والمدينة معاً. وشيدت لنفسها قصوراً متشابهة في القرية والمدينة. وكما ذكرنا سابقاً، فإن علاقة مدينة القدس والخليل مع قرى وشيوخ نواحي الريف، كانت أضعف بكثير مما كان عليه الحال في جبل نابلس وقد عكس ذلك نفسه أيضاً على العمارة كما سنرى لاحقاً.

ويتحدث الأهالي الحاليون في قرى النواحي، أن البنائين لهذه القصور والقلاع كانوا يأتون من المدن. ولا نشكك في ذلك حيث إن الكفاءة والمهارة المطلوبة لبناء مثل هذه القلاع لم تكن موجودة في القرى، وذلك للبساطة النسبية للعمارة الفلاحية في القرية. فبينما اتسمت العمارة الفلاحية ببساطة البيت الفلاحي المكون عملياً من غرفة واحدة تدعى عقداً (نسبة الى العقد العربي المستعمل للأسقف)، تعقدت كما سنرى، تكوينات قصور شيوخ النواحي. وبشكل عام فقد كان البيت الفلاحي (العقد) ينقسم الى ثلاثة أجزاء هي: قاع البيت، المصطبة والراوية، التي تفصل المستويات المختلفة، وخوابي الطين، فيما بينها. وقد آوى البيت الفلاحي الفلاح وعائلته وماشيته ومحصوله الزراعي في حيز واحد. ويتشكل الحوش الفلاحي عادةً من مجموعة عقود مترابطة عمودياً وأفقياً وتفصل السلاسل الحجرية الحيز الشبه خاص للحوش عن الحيز العام خارج هذه الأحواش.

وفي كثير من الأحيان، حملت قصور وقلاع شيوخ النواحي سمات مدنية فقط، كما هو الحال في قصور آل الجبوسي في كور وآل القاسم في بيت وزن. بينما حملت بعض قصور قرى الكراسي تقسيمات داخلية ذات سمات فلاحية كما كان الحال في قلعة آل سمحان في راس ابن سمحان وقصر آل سحويل في عبوين. وفي هاتين الحالتين نجد بيوتاً فلاحية بتقسيماتها التقليدية (قاع بيت، مصطبة وراوية) في الطوابق الأرضية لهذه القصور، وهنا لا بد من الإشارة، وبشكل عام، إلى أن عمائر قرى كراسي منطقة نابلس كانت مدنية السمات بينما اتسمت قصور نواحي منطقة القدس والخليل بسمات مدنية وفلاحية في آن واحد.

العوامل التي أثرت على التكوين المعماري لقرى الكراسي

قبل الدخول بالتفصيل في السمات المعمارية لقصور وقلاع قرى الكراسي، قد يكون من الأفضل التطرق الى العوامل التي أدت إلى نشوء هذا الطراز المعماري المميز والتي لعبت دوراً في تكوينه وتشكيله، ومن أهم هذه العوامل مايلي:

قصر آل سحويل - عبوين



عمارة قرى الكراسي

٣. وظيفة القلاع والقصور كمباني حكم وإدارة (سرايا)
٤. مكانة ودور نساء شيوخ النواحي التي كانت أقرب لمكانة ودور نساء المدن منها لدور نساء الفلاحين

وبالرغم من الاختلافات في مخططات قصور النواحي (أنظر المخططات المرفقة مع كل قصر)، إلا أنه من الممكن التحدث عن نمط واحد يجمع بينها. فبينما بلغت مساحة قلعة صانور ما يقارب الخمسة دونمات (٤٦٧٥) متراً مربعاً لم تتجاوز مساحة قصر الكايد (٥٢٠) خمسمائة وعشرين متراً مربعاً.

التقسيمات الوظيفية والاستعمالات للقصور والقلاع:

انعكس الدور السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي لعبه شيوخ النواحي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر على تكوين وتخطيط قصور شيوخ النواحي في قرى الكراسي، فقد تعددت وظائف واستعمالات هذه القصور والقلاع. فبالإضافة لكونها سكناً لعائلة الشيخ، وما تطلب ذلك من توفير خصوصية عالية جداً لنساء الشيخ وعائلته، فقد كانت هذه القصور في معظم الأحيان مباني ذات وظائف عامة إدارية وعسكرية. ففي حالات كثيرة لعب قصر الشيخ دور السرايا، أو كان مقراً حكومياً، لإدارة شؤون المشيخة والناحية ككل. ومثال جيد على ذلك قلعة صانور ودار عبد الله الجيوسي التي سميت بقصر الحاكم في كور.

يمكننا تقسيم قصور وقلاع قرى الكراسي من الناحية الوظيفية الى ثلاثة أقسام:

١. مرافق ذات وظيفة إدارية عامة: الديوان، وغرفة الحراس، وغرفة القهوة، والسجن، وجميعها في الطابق الأرضي باستثناء عليّة الشيخ
٢. مرافق ذات وظيفة خدمانية: أروقة، وغرف إسطبلات، وغرف التخزين، وبئر الماء، وجميعها أيضاً موجود في الطابق الأرضي

١. قصر الحاكم (عبدالله) - كور
٢. بقايا عقد قصر حرب الجيوشي (آل) عساف/عودة - كور

١. العامل الاقتصادي والثروة التي تم جمعها من قبل شيوخ النواحي والناجحة عن دورهم كملتزمي ضرائب
٢. عامل الحماية والدفاع، الناتج عن التحالفات والصراعات المستمرة بين شيوخ النواحي، حيث أصبحت هذه القصور أشبه بالقلاع منها بالمساكن



٣. مرافق ذات وظيفة سكنية خاصة: غرف السكن للشيخ وعائلته، وغرف معيشة في الطوابق الأرضية، وغرف نوم معظمها في الطوابق العلوية

ويمكننا التعميم بالقول إنه تم الفصل بين الوظائف العامة والخدمات عمودياً أي كانت المرافق الإدارية العامة والخدمات في الطابق الأرضي، بينما وجد حيز العائلة ذو الخصوصية العالية، في الطوابق العلوية. وبشكل عام يمكننا القول إن الطابق الأرضي قد احتوى على المدخل الرئيسي بالإضافة إلى مدخل خلفي خاص بالنساء، وهو للمدخل الرئيسي، غرف للحرس، ديوان وغرفة قهوة، السجن، اصطبلات، غرف تخزين، الساحة السماوية وغرف للسكن. أما الطوابق العلوية الأولى والثاني والثالث، فقد اشتملت، بشكل رئيسي، على غرف لسكن العائلة مكونة من عقود حول ساحة أو ساحات سماوية صغيرة في الطوابق العلوية. وقد شكلت عليّة الشيخ استثناءً لهذه القاعدة، فقد كانت حيزاً ذا استعمالات عامة ولكنها واقعة في الطوابق العلوية، وقد تم حل إشكالية الخصوصية بوجود مدخل أو درج يصلها مباشرة دون التداخل في حيز العائلة الخاص.

لعبت المضافة أو الديوان، الواقع غالباً في الطابق الأرضي قرب المدخل الذي يستقبل فيه الشيخ زواره الرسميين، دوراً في الحياة السياسية والاجتماعية العامة. وكذلك لعبت عليّة الشيخ، التي تقع عادة في الطوابق العلوية من القصر، دوراً في حياة القرية والمشايخ حيث يستقبل الشيخ ضيوفه فيها، واستعملت في كثير من الأحيان للمنامة. ولكلمة عليّة (وجمعها علالي) مدلولات اجتماعية حيث يرمز ارتفاع عليّة إلى نفوذ وسلطة شيوخ النواحي. وبالقرب من العلالي أو الديوان نجد غرفة لتحضير القهوة و"بيت خارج" (مرحاض). وقد شكل السجن أيضاً جزءاً من المرافق العامة التي احتوت عليها هذه القصور والقلاع. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الكثير من قصور أعلام مدينة نابلس كانت تحوي سجنًا. ويشكل وجود السجن وجهاً آخر للمقارنة بين قصور مدن فلسطين وقرى الكراسي، ولا بد من الإشارة إلى أن الغالبية العظمى من قصور قرى الكراسي لم تكن تحتوي على سجن، رغم ادعاءات السكان الحاليين. لكن من المؤكد مثلاً وجود سجن في كل من قلعة صانور وقصر القاسم في بيت وزن وقصر عبد الهادي في عرابة وقصر الجيوسي في كور.

إن وجود السجن أو عدمه هو انعكاس لسلطة ونفوذ شيخ الناحية ونجد أن السجون وجدت في قصور نواحي جبل نابلس ذات النفوذ الكبير بينما لا نجدها في قصور نواحي جبل القدس الأقل سلطة.

وكثيراً ما يدور الحديث عن السجن والمشقة حيث يذكر سكان صانور وسكان عرابة وكور عمليات إصدار الشيخ حكماً بالإعدام شتقاً، وكان يتم ذلك في ساحة قصر الشيخ أو داخل السجن، كما كان الحال في قصر عبد الهادي في عرابة.

وأخيراً، من الجدير بالتنويه أنه لم يكن لقصور وقلاع شيوخ النواحي أي بعد ديني. فلم ترتبط مكانه شيوخ النواحي، ومن ثم قصورهم وقلاعهم، بأي أهمية دينية. ولذا لم يكن هناك أي ربط بينها وبين الجامع، رغم وجود جامع القرية بالقرب من قصر الشيخ كما هو الحال في كل من دير غسانة وعرابة ورأس ابن سمحان، أو مزارات الأولياء، التي كثر تواجدها في قرى فلسطين، وكان لها دور ديني هام تمثل بالمواسم الدينية العديدة التي ارتبطت مع مزارات الأولياء الصالحين.

رسم مائي الزباث هاردن - عليّة قصر الشيخ صالح البرغوثي - دير غسانة





الخصائص المعمارية لقصور وقلاع قرى الكراسي

وبالرغم من الاختلاف بين قصور قرى الكراسي المختلفة إلا أن هناك سمات وخصائص معمارية تجمع بين هذه المباني جاعلة منها نمطاً معمارياً مميزاً في أرياف فلسطين خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

يمكننا، وبشكل عام وصف قصور شيوخ النواحي بأنها أشبه بقلاع ضخمة تتوسط بيوتاً فلاحية صغيرة وبسيطة باسطة بذلك عليها نفوذها وسيطرتها. فقد كانت قصور النواحي غالباً مكونة من طابقين أو ثلاثة وكانت ذات أحواش داخلية. وفي بعض الحالات كانت ترتفع القصور إلى أربعة طوابق كما هو الحال في قلعة ابن سمحان في رأس ابن سمحان وقصر القاسم في بيت وزن. وقد زاد من ارتفاعها القباب الجميلة لعلاليها (جمع عليّة).

فقلعة صانور تعلو شامخه وخاصة من الجهة الغربية، وكذلك الحال بالنسبة لقصر الحاكم في كور والجهة الجنوبية لقلعة ابن سمحان وقد ارتفعت واجهات الكتل المختلفة، المكونة للمبنى، بشكل عامودي، وبارتفاعات متفاوتة، مما أعطاهما تكوينات معمارية جميلة جداً، وبدت في بعض الأحيان، وكأنها تجمعات لمبان عديدة متراسة. وقد شكلت الواجهات الحجرية المصمتة سمة معمارية جميلة جداً.

الموقع

وكما يتضح من مخططات قرى الكراسي، فقد اختلف موقع القصر وعلاقته مع ما حوله من قرية لأخرى. فأحياناً كان قصر الشيخ يتوسط البلدة، كما هو الحال في قرية بيت وزن ورأس كركر وديرغسانه ودار الكايد في سبسطية، بينما تقع قلعة صانور على الأطراف الشرقية للبلدة.

٣/١. قصر ابن سمحان - رأس كركر

٢. منظر عام لقرية كور



وبالرغم من أن الحماية والدفاع كانا عاملين هامين لقرى الكراسي إلا أنه من الملفت للانتباه أنه لم يتسم أي من هذه القرى، أو غيرها من القرى في فلسطين، ببناء سور حولها. فقد اقتصر بناء الأسوار فقط حول القصر أو القلعة ذاتها مما أدى إلى عزل قصر أو قلعة الشيخ عن باقي بيوت وحارات القرية. وفي معظم الحالات كانت قرى الكراسي كغيرها من قرى فلسطين مقسمة إلى حارات بناءً على الحمائل المختلفة التي سكنت القرية. وقد كان قصر شيخ الناحية عادة يتوسط حارة حمولته أو ما يسمى في كثير من القرى "الحارة الفوقا". ففي جميع قرى الكراسي، باستثناء قرية كور، سكنت حمولتان أو أكثر القرية بما فيها حمائل شيخ الناحية. أما قرية كور فقد كانت قرية الكرسي الوحيدة التي سكنتها حمولة واحدة فقط وهي الجيوسي.

الأسوار

لقد تميزت جميع قصور وقلاع قرى الكراسي بوجود أسوار عالية نسبياً حولها. وفي معظم الأحيان شكلت واجهات المباني نفسها، بالإضافة إلى جدران الأحواش الداخلية، عنصراً معمارياً حصّن المبنى ومنحه خصوصية سعى إليها وثمرتها عالياً أفراد عائلة الشيخ وخاصة النساء منهم. وأشهر هذه الأسوار على الإطلاق أسوار قلعة صانور المنبوعة التي ضرب الحصار حولها مرات عدة. وكما تبين صور ومخططات القصور المختلفة، فقد تميزت هذه الأسوار بارتفاعاتها الشاهقة وواجهاتها العالية، التي تجاوزت في بعض الأحيان العشرين متراً، كما هو الحال في سور قلعة صانور الجنوبي والسور الغربي لقصر الحاكم في كور. وكثيراً ما كانت فتحات البنادق "الطلاقات" وتسمى أيضاً "كوى" جمع (كوّة) تعلو هذه الجدران والأسوار كما هو الحال في قصر عبد الهادي في عرابة.

١. منظر عام لقرية كور

٢. قصر الحاكم (عبدالله) - كور

المداخل والبوابات

تميزت جميع قصور وقلاع قرى الكراسي، بلا استثناء، بمدخلها الفخمة وبواباتها الخشبية الكبيرة. وكما توضح لنا الصور، فقد كانت معظم هذه المداخل مكونة من قوس مدبب كبير بداخله قوس موتور، وما بينهما يقع نقش حجري كثيراً ما يحمل أبيات شعر في مديح الشيخ الذي أنشأ هذا القصر وسنة تشييده. وكثيراً ما كان يعلو القوس المدبب زخارف حجرية مميزة كما هو الحال في قصر الكايد في سبسطية.

وعلى جانبي المدخل من الخارج يكون هناك مقعدان حجريان مخصصان للحرس، ويسميان بالمكسلتين (جمع مكسلة).

أما البوابات الخشبية، والتي للأسف تم استبدال معظمها ببوابات حديدية حديثة، فكانت غالباً مصنوعة من خشب الأرز الصلب، وعليها زخارف نباتية وهندسية يمكن رؤيتها على البوابات الخشبية لقصر البرغوثي في ديرغسانة، وقصر سحويل في عبوين اللذين لا يزالان يحافظان على بوابتيهما الخشبيتين، كذلك الحال بالنسبة لقصر آل مسعود في برقة. وقد توسطت هذه البوابات الخشبية فتحة باب صغيرة قليلة الارتفاع تسمى "الخوخة" وكانت للاستعمال اليومي. يتم فتح البوابة الكبيرة فقط في المناسبات، أو لدخول الخيل. وكثيراً ما كان يعلو القوس المدبب، المحوز وهو شباكان مستطيلان لمضافة الشيخ التي تقع ولأسباب دفاعية فوق المدخل مباشرة. وكما هو الحال في مدخل قصر الخواجا في نعلين، وقصر الشيخ واكد الجيوسي في كور فقد كان هناك مشربيات حجرية مع فتحات حماية (مغازل) تستعمل لصب الزيت الحار على الغزاة، وفي حالات كثيرة شكلت القبة التي كانت تعلو المضافة نهاية مناسبة وجميلة لمداخل هذه القلاع.

أما الزخارف، فقد اختلفت تفاصيلها من مدخل إلى آخر، فتجد الأعمدة المتلوية على جانبي بوابة قصر آل الكايد، والأعمدة ذات التيجان والقواعد المزخرفة والقوس المزركش على بوابة قصر الشيخ درويش في نعلين، والحجر الأبلق الزهري والأبيض اللون في بوابة الشيخ صالح البرغوثي في دير غسانة، وبوابة قصر الخواجا في نعلين.



١. بوابة قصر ابو قطيش - قرية العنب
٢. مدخل قصر مصطفى الجيوسي - كور
٣. بوابة قصر سحويل - عبوين



المدخل المنحنية

كما ذكرنا سابقاً فقد شكلت الخصوصية وعزل النساء والعائلة عاملاً هاماً في تشكيل وتخطيط قصور وقلاع شيوخ قرى الكراسي. فكثيراً ما اعتبر المدخل المنحني من أهم سمات العمارة المدنية. كثيراً ما نجد المداخل المنحنية في قصور نابلس، وبيوت الأغنياء والتجار في المدن الإسلامية كمدينة دمشق وفاس والقاهرة.

وكما نلاحظ في مخططات بعض قصور الكراسي، فقد تميزت مداخل قصور كل من دير غسانة ورأس كركر وصانور وعبوين بوجود بهو مكون من عقد أو عقدين شكلاً حيزاً انتقالياً ينقلنا من الحيز شبه العام، إلى الحيز الخاص جداً، أي الحوش الداخلي. وفي كثير من الأحيان، وللحصول على الخصوصية اللازمة، تم الاكتفاء بوجود باب رئيسي للقصر وهو لتغيير الاتجاه. وفي حالات أخرى، كانت هناك بوابتان خشبيتان، وذلك للتأكد من الخصوصية الكاملة كما هو الحال في مدخل قصور دير غسانة وعبوين وقلعة رأس ابن سمحان.



قصر سحويل - عبوين



قصر آل سمحان - رأس كركر

قصر القاسم - بيت وزن

الفناء الداخلي والأحواش

يمكننا القول إن أهم سمة معمارية جمعت بين قصور المدن في فلسطين وقصور قرى الكراسي وجود ساحة أو ساحات سماوية داخلية، مما جعل منها طرازاً متميزاً يختلف تماماً عن الأحواش الفلاحية التي تنمو بشكل عفوي وعضوي، وبدون تخطيط مسبق.

فكما توضح لنا مخططات قصور وقلاع قرى الكراسي، فجميعها، وبلا استثناء، تحتوي على ساحة سماوية تشكل الفناء الداخلي التي تتجمع حوله عقود الطابق الارضي. وغالباً ما تكون هذه الساحات الحيز الأكثر استعمالاً من قبل جميع أفراد العائلة وخاصة النساء والأطفال. فقد شكل الفناء الداخلي مكان عمل للنساء ولعب الأطفال وساحة للمناسبات الاجتماعية كالزواج والأعياد وغيرها.

وكثيراً ما كانت هذه الساحات مبلطة كلياً أو جزئياً وفيها أشجار مثمرة كالليمون والخشخاش، كان يحفر فيها بئر ماء. وقد اختلفت مساحات هذه الساحات، فأكبرها على الإطلاق كانت ساحة قلعة صانور وقد بلغت مساحة القلعة، كما ذكرنا سابقاً، أربعة آلاف وستمائة وخمسة وسبعين متراً مربعاً، بينما لم تتعدّ مساحة ساحة قصر الكايد في سبسطية المائة متر مربع فقط.

ومن السمات المعمارية الهامة لهذه الساحات وجود أروقه أو إيوانات (جمع إيوان) شكلت امتداداً طبيعياً لهذه الساحات، وشكلت حيزاً متوسطاً يربط بين الفناء الخارجي والغرف. وقد استعملت هذه الأروقة لربط الخيول والدواب، ولكن وفي معظم الأحيان، شكلت الأروقة ذات العقود العريضة، حيزاً مسقوفاً ومحمياً من شمس الصيف الساطعة وأمطار فصل الشتاء.

وقد تراوح عدد هذه الأروقة عادة بين رواقين، على الأقل، وبين خمسة أروقة كما كان الحال في قلعة صانور.

١. قصر سحويل - عبوين

٢. قصر الكايد - سبسطية

٣. قصر الحاكم (عبدالله) - كور



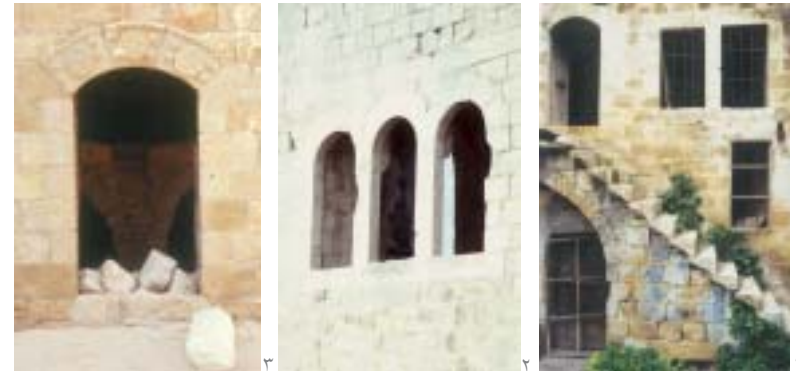
فتحات الأبواب والشبابيك

يمكن القول إنه، وباستثناء فتحات بوابات المداخل المميزة والكبيرة للقصور، لم يكن هناك في الطابق الأرضي أي فتحات تذكر في الواجهات الخارجية للمبنى وذلك حفاظاً على الخصوصية. وما نراه اليوم من شبابيك وأبواب في الواجهات الخارجية من الطوابق الأرضية فهو حديث نسبياً، وذلك لملاءمة هذه المباني مع متطلبات الوظائف الجديدة، وللاستعمالات الحالية لهذه القصور. ونرى أن معظم فتحات الغرف من أبواب وشبابيك كانت باتجاه الساحة الداخلية في الطابق الأرضي بالتحديد. وقد شكل الرواق الكبير لقلعة ابن سمحان الاستثناء الوحيد لهذه القاعدة. أما الطوابق العلوية فقد تميزت بوجود فتحات كبيرة نسبياً وقد كان أكثرها شيوعاً الشباك المائل والمستطيلان والمتجاوران ويشار إليهما "بالمجوز" ونجد هذا العنصر في جميع قصور النواحي بلا استثناء.

وفي حالات أقل انتشاراً، نجد تشكيلات ثلاثية لهذه الشبابيك كما هو الحال في عرابة وبيت وزن، وهي قليلة نسبياً إذا ما قورنت بالمجوز.

وهناك أيضاً بعض الفتحات الصغيرة نسبياً، وتسمى "فضايات" وهي في الجزء العلوي من الجدران، وكما يستدل من تسميتها فهي لإدخال النور والهواء.

١. قصر مسعود - برقة
٢. قصر القاسم - بيت وزن
٣. قصر ابن سمحان - رأس كركر
- ٤/٥. أبواب خشبية
- ٦/٧. قصر الكايد - سبسطية



العقود والقباب

إن أهم ما يميز العمارة في المدن والقرى الفلسطينية استعمال العقود العربية (مفردها عقد عربي) ويسمى أيضاً "العقد الصليبي" كنظام تسقيف، ونرى أن معظم مباني قصور وقلاع قرى الكراسي مكونة من مجموعة من العقود. وقد شاع استعمال العقود إلى حد أنه كان يشار إلى الحيز أو الغرفة جميعها بكلمة "عقد". وببساطه يمكن القول إن المباني تكونت وتشكلت من مجموعة من العقود المبنية في مستويات متعددة ومتداخلة يصعب رسمها في بعض الأحيان على المخططات. وقد تداخلت عقود الغرف مع عقود الأروقة جاعلة من هذه التداخلات روائع معمارية. وقد تجلى ذلك بشكل واضح في قصر القاسم في بيت وزن.

أما استعمالات القباب التي كانت في الغالب تقتصر على المباني الدينية كالجامع ومقامات الأولياء، فنجد أن لها استعمالات عديدة في علالي قصور النواحي.

فبينما استعملت العقود العربية في المباني السكنية الفلاحية، اقتصر استعمال القباب على المباني الهامة ذات القيمة الدينية أو الدنيوية، وبذلك أصبحت القبة رمزاً لمكان مقدس ديني أو نفوذ شيخ الناحية. وكما ذكرنا سابقاً، فقد كانت جميع غرف قصور النواحي مكونة من عقود باستثناء العلية التي تميزت ببروز قبتها الجميلة التي بنيت من الخارج على قاعدة حجرية مثمّنة.

العناصر الزخرفية في قصور وقلاع قرى الكراسي

يمكننا تلخيص العناصر الزخرفية في مباني قصور قرى الكراسي بما يلي:

١. نقوش وزخارف حجرية (نقش مكتوب أو شكل هندسي أو نباتي)
٢. نقوش وزخارف على الخشب (الأبواب والخزائن والرفوف الخشبية)
٣. الصحنون الخزفية الملونة (القاشاني)
٤. الزخارف على الجدران والقباب الداخلية (الخص والحنة والشيد والنيلة)
٥. الطلاقات (الكوى) التي يمكن اعتبارها معلماً زخرفياً وليس وظيفياً فقط
٦. المشربيات
٧. الأسقف الخشبية الملونة



١. منظر عام - دير غسانة

٢. عليّة قصر سحويل - عبوين

٣. قصور آل البرغوثي - دير غسانة

عمارة قرى الكراسي

من استعمال نبتة النخيل التي ترمز إلى طول الحياة، وسنبلة القمح التي تشير إلى الخير والعطاء والحياة.

كما كان هناك الكثير من النقوش والزخارف الحجرية الجميلة المنحوتة على الحجارة الأفقية (القمط) للشبابيك والأبواب، وكذلك الحال بالنسبة للحجارة العمودية (الدمغ) كما هو الحال في راس كركر وكور.



١. نقوش وزخارف حجرية (نقش مكتوب أو شكل هندسي أو نباتي)

قد تكون حرفة "دقاقة الحجر" من أكثر حرف البناء تطوراً في فلسطين، وقد ارتبطت هذه المهارة أو المهنة ارتباطاً وثيقاً بمهارة البناء بالحجر التي تفوق فيها بناءو الحجر في المناطق الجبلية من فلسطين. فقد شكل البناء والدقيق فريق عمل متجانساً ومتناغماً. فبالإضافة إلى القطع وتشكيل ودق القطع المختلفة من الحجارة اللازمة للبناء، كالزاوية والقمط والدعسة والزفر والدفع والعتبة.... الخ، فقد اشتهر الدقيق بعمل النقوش والزخارف على الحجر بمهارة عالية جداً، كادت تشبه التطريز على الحجر (انظر الصور المرفقة).

وبسبب التكلفة العالية نسبياً، فقد وجدت الزخارف الحجرية عادة في المباني العامة ذات الأهمية الدينية أو المدنية، كما كان الحال بالنسبة للمدارس وباقي المباني المملوكية في مدينة القدس. كما وجدت وبشكل أبسط في بيوت عائلات المدن الغنية.

تشابهت زخارف قصور قرى الكراسي وزخارف قصور أغنياء المدن، وخاصة في مدينة نابلس. وقد برزت مهارة دقيق الحجر بأعماله الفنية الرائعة والمتمثلة بالأعمدة والتيحان وقواعد الأعمدة المزخرفة والمقاعد الحجرية (المكاسل). أما معظم الزخارف والنقوش الهندسية، وبدرجة أقل النباتية، فقد تركزت بشكل أساسي في الأقواس وجوانب البوابات الرئيسية لهذه القصور.

أما فتحات الأبواب الداخلية وخاصة أبواب العاللي، فقد تميزت هي الأخرى بالزخارف الجديرة بالدراسة، حيث تميزت معظم أقواس أبواب الغرف بحجارة أقواس منقوشة هي غاية في الجمال. وقد كانت معظم هذه الزخارف هندسية، وكان أكثرها استعمالاً النجمة الثمانية أو السداسية والشكل اللولبي، الذي يعتقد أنه زخرف مملوكي يشير إلى عمارة الشيخ. ونجد أيضاً الزخارف النباتية والإكثار

١/٢/٦. نقوش حجرية من قصر عبد الهادي، عرابة

٣/٤. نقوش حجرية من قصر آل جرار، صانور

٥. قصر الكايد، سبسطية

٢. نقوش وزخارف على الخشب (الأبواب والخزائن والرفوف الخشبية)

بعكس مادة الحجر التي وجدت بكثافة وبنوعية جيدة في البيئة المحيطة، ونتيجة لذلك استعملت بكثافة كمادة بناء في المناطق الجبلية، فقد شح وجود، ومن ثم استعمال، الخشب كمادة بناء في فلسطين. كان استعمال الخشب كمادة بناء محدوداً جداً. فبينما استعمل الحجر الجيري كمادة بناء في المناطق الجبلية استعمل الحجر الرملي في السواحل. أما في منطقة الأغوار والحولة فقد استعملت مادة الطين لبناء الجدران الخارجية، واستعملت الدوامر الخشبية لبناء الأسقف. كما استعملت الدوامر الخشبية أو جذوع الأشجار الطبيعية في أسقف البيوت البسيطة في الجبل (السقايف). اقتصر استعمال الخشب في قرى الكراسي بشكل رئيسي على درفات الأبواب والخزائن الخشبية والمشربيات والبراويز الزخرفية، ولم تستعمل كمادة إنشائية لهيكل المبنى نفسه، ولا حتى سقفه.

استعمل في درفات الأبواب نوعان من الخشب: الأرز المستورد، وهو خشب صلب استعمل لدرفات البوابات الرئيسية للقصر. وفي بعض الأحيان ثم تصفيحه بشرائح حديدية. أما درفات الغرف الداخلية فقد استعمل فيها الخشب الأبيض وهو خشب طري من أشجار الصنوبر. وفي حالات أقل استعمل خشب أشجار الجوز والزيتون.

اتسمت البوابات الخارجية بالزخارف المنحوتة كما هو الحال في بوابة دير غسانة وعبوين. وقد كانت الزخارف إما هندسية أو نباتية مبسطة. وتختلف هذه البوابات كثيراً عن البوابات المزركشة في الهند وشمال إفريقيا مثلاً.

أما درفات الغرف العادية فقد خلت من الزخارف المنحوتة وكلها زخرفت بعمل حشوات (مخدات/ أطباق) من الخشب نفسه أو بتغيير اتجاه الألواح الخشبية التي تم تصنيع الباب منها.

بالإضافة إلى درفات الأبواب فقد استعمل الخشب لعمل درفات خزانات الأقواس في الجدران الداخلية. وفي معظم الحالات استعمل الخشب الأبيض الذي تم حفره ودهنه بلون أخضر أو أزرق، وفي حالات أقل استعمل خشب الأرز وتم الحفر عليه كما هو الحال في عليّة الشيخ حسين عبد الهادي في عرابة. كما استعملت



١. تفصيلة من باب خشبي من قصر عبد الهادي - عرابة

٢. ٥/٤/٣. ابواب خشبية من قصر الكايد في سبسطية

٦. باب خشبي من قصر عبد الهادي في عرابة

٣. الصحن الخزفية الملونة (القاشاني)

مرة أخرى تشابهت عمارة قصور الكراسي مع بيوت أغنياء مدينة نابلس باستعمالها صحن الخزف الملونة كعنصر زخرفي. وقد سميت هذه الصحنون قاشاني نسبة إلى مدينة قاشان التي كان يتم استيراد الخزف منها. وقد استخدمت هذه الصحنون مختلفة الحجم إما في قمة العقد من الداخل أي على أعلى نقطة من تقاطع العقد (مفتاح العقد) أو فوق مداخل الغرف وخاصة على الشيوخ. وكما توضح الصورة أدناه، كان يتم عادة تجويف الحجر لاستيعاب صحن القاشاني بداخله. كانت ألوان القاشاني الأخضر والأزرق والأصفر الأكثر شيوعاً. وفي بعض الحالات، كما هو الحال في قلعة ابن سمحان، استعمل صحن القاشاني ذو اللون الأحمر شعار صف القيس. أما صحنون القاشاني الموجودة حالياً في قصور النواحي فهي نادرة، فقد تكون هذه الصحنون قليلة الاستعمال ونادرة في الأساس، أو أنها اختفت بسبب عامل الزمن.



٢



٣

الكورنيشات أو البراويز الخشبية أسفل الرفوف الخشبية التي كثيراً ما وضعت في زاوية الغرفة، أو شكلت رفاً يلتف حول الغرفة أو إطاراً حول الأقواس. وفي دير غسانة نجد خزانة خشبية مزخرفة كانت تستعمل خصيصاً للنراجيل.

وأخيراً لا بد من الإشارة إلى استعمال الخشب في المشربيات التي سيتم التطرق لها لاحقاً.



١

٣/١. صحنون مزخرفة فوق مدخل دار صالح - دير غسانة
٢. المكان المخصص لصحنون القاشاني من دار صالح - دير غسانة

٤. الزخارف على الجدران والقباب الداخلية (الخص والحنة والشيد والنيلة)

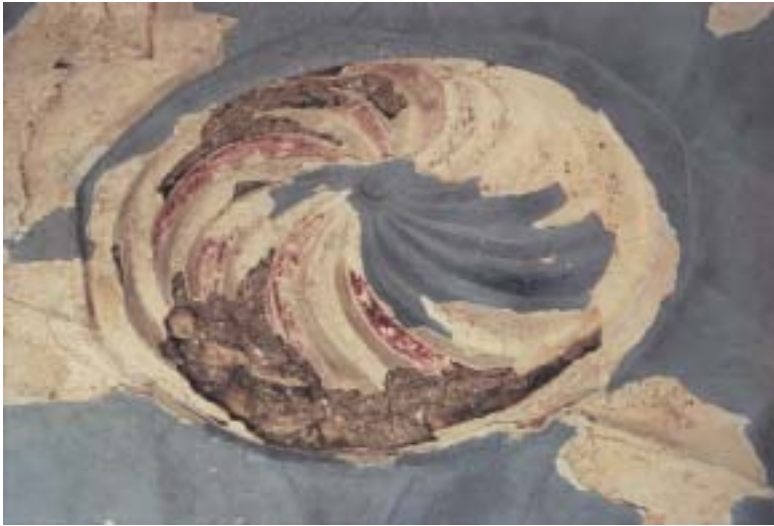
بشكل عام، خلت الجدران الداخلية والعقود من أية زخارف، واقتصرت على طراشة الجدران بطراشة خفيفة من مادة الشيد. وفي معظم الحالات ساد اللون الأبيض، ولكن هذا لم يستثن استعمال الألوان الأخرى وخاصة اللون الأزرق الفاتح الذي ينتج عن استعمال مادة النيلة.

وفي حالات نادرة، كما هو الحال في علية الشيخ في قصر الحاكم في كور وعلية الشيخ صالح البرغوثي وجدت الزخارف الرسومات على جدران داخلية بأكملها. ففي علية الشيخ بقصر الحاكم في كور نجد القبة مزخرفة من الداخل بخمس حلقات دائرية تحمل نقوشاً جميلة. أما الجدران الداخلية فقد تمت زركشتها بزخارف نباتية باللونين البني والأخضر. كما تم رسم زنار بني حول الغرفة.

اتسمت رسومات قصر الشيخ صالح البرغوثي في دير غسانة بمناظر طبيعية، حيث صورت درابزين من حجر ومن خلفه منظر لحديقة وهو تأثير أوروبي. وللأسف فقد تم تخريب هذه الرسومات خلال عمليات البناء التي تمت في هذا القصر عام ١٩٩٨.

أما قباب العاللي من الداخل فقد كان لها تشكيلات رائعة. كانت القبة محمولة على أربع زوايا ذات تشكيلات جميلة تحمل في وسطها قبة صغيرة ذات زخارف لولبية دائرية. وكثيراً ما نجد هذه الزخارف على الحجر أيضاً. وفي هذه الحالة زاد التلاعب باللونين الأبيض والأزرق، (لوني البركة)، من جمال ورونق هذه القباب من الداخل.

١. زخارف على القبة الداخلية لقصر عبد الهادي - عرابة
٢. رسومات جدارية داخل قصر آل الجيوسي - كور
٣. زخارف من الخص - ابو غوش
٤. رسومات جدارية داخل قصر آل الجيوسي - كور
٥. رسومات جدارية داخل قصر القاسم - بيت وزن



٥. الطلاقات (مشربيات فخارية)

شكلت الطلاقات "مشربيات فخارية"، وقد استعملت هذه العناصر لبناء جزء من الأسوار التي عادة ما أحاطت الساحات السماوية في الطوابق العلوية.

وبالرغم من الاعتقاد السائد أن هذه الطلاقات استعملت لأسباب دفاعية فإنها على الأغلب تم استعمالها للسماح للهواء بالمرور من خلالها، وخاصة أن هذه الساحات السماوية العلوية قد استخدمت للسهر والمنامة خلال موسم الصيف الحار. وهناك اعتقاد أنها سميت طلاقات نسبة إلى إطلاق النار منها خلال الصدامات والتي شغلت حيزاً كبيراً في الروايات الشفوية لأهالي قرى الكراسي. وهناك اعتقاد آخر أنها سميت طلاقات نسبة إلى الهواء الطلق الذي يمر من خلالها. وكما تظهر الصورة اسفل، فبالرغم من استعمال الطلاقات لأسباب وظيفية كونت تشكيلاتها عنصراً زخرفياً جميلاً اختلف في لونه وتكوينه عن عنصر الحجر.



طلقات قصر الشيخ (يوسف الواكد)

٦. المشربيات

وأما المشربيات الحجرية فقد شكلت عنصراً زخرفياً جميلاً لفتحات شبابيك هذه القصور. وعادة ما تم بناء مشربيات حجرية في الطوابق العليا، كما هو الحال بقصر الحاكم في كور ومشربية قصر عبد الهادي في عرابة ومشربية قصر مسعود في برقة.

تميزت هذه المشربيات بحجارتها المزخرفة، وكذلك بحجارتها المتدلية، والمعروفة باسم "زُفُورَة" جمع زفر وهي تدعم المشربيات من الأسفل. وفي معظم الحالات، تشكلت المشربيات الكبيرة نسبياً من أربعة شبابيك، اثنين على الواجهة الرئيسية، وشباك واحد على كل جهة. بينما احتوت المشربيات الصغيرة على شباك واحد فقط.

استعملت المشربيات الخشبية لإغلاق هذه الفتحات بالإضافة إلى استخدام الأباجورات الخشبية والتي لا تزال تشاهد حتى يومنا هذا في قصر صالح البرغوثي في دير غسانة. أما تصنيع المشربيات في فلسطين فقد كان بسيطاً وبداًئياً نسبياً إذا ما قورن بمشربيات القاهرة وبغداد (والتي سميت أيضاً ببغدادية نسبة إلى المدينة). فبينما اشتهر المصريون والسوريون بصناعة المشربيات الخشبية بنظام التعشيق، كانت مشربيات فلسطين بسيطة جداً، حيث تشكلت من شرائح خشبية رفيعة ثبتت بالمسامير باتجاهين وفي وسطها شبابيك صغيرة يمكن فتحها في بعض الحالات.

وبشكل عام فقد كان استعمال المشربيات محدوداً نسبياً في فلسطين، وباستثناء استعمالها في قصور شيوخ النواحي في قرى الكراسي، لم تستعمل بتاتاً في العمارة الفلاحية. أما في عمائر المدن كالقدس ونابلس وعكا ويافا وغزة فقد كان استعمالها أيضاً محدوداً مقارنة مع بغداد والقاهرة.



٢



٤



٣



١

١. مشربية عليّة قصر الشيخ صالح - دير غسانة
٢. مشربية خشبية في دار صالح - دير غسانة
- ٣/٤. مشربيات حجرية في قصر الحاكم (عبدالله) - كور



٧. الأسقف الخشبية الملونة

أما الأسقف الخشبية الملونة، والتي ميزت قصور العائلات الغنية في المدن الفلسطينية وخاصة مدينتي عكا والناصرة وبدرجة أقل مدينتي نابلس والقدس، فقد انتشرت خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر والعقدين الأولين من القرن العشرين.

وقد اعتبر هذا العنصر الزخرفي الجميل تأثيراً عثمانياً عكس ارتباطات بعض عائلات فلسطين المدنية مع استانبول. ورغم أن التأثيرات العثمانية واضحة في الرسومات (motifs)، إلا أن الدراسات توضح أن الفنانين الذين رسموا هذه الأسقف كانوا قد جاءوا بشكل أساسي من لبنان (دراسة غير منشورة للمهندس شريف الشريف).

أما بالنسبة لاستعمال الأسقف الخشبية الملونة في قصور النواحي فكان شبه معدوم ولا نعرف سوى حالة واحدة فقط في برقة وهي سقف ديوان قصر آل مسعود في الطابق العلوي الذي أضافه الشيخ فارس المسعود في فترة متأخرة من القرن التاسع عشر. وبذلك جاء متأخراً جداً عن باقي قصور النواحي التي تم إنشاء معظمها في فترات مبكرة أي خلال القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر.

وأخيراً لا بد من الإشارة إلى أن اللونين الأبيض والأحمر كانا اللونين اللذين رمزا إلى صف اليمن وصف القيس. فقد كان اللون الأبيض شعار صف اليمن بينما اللون الأحمر شعار صف القيس. وكثيراً ما استعملت مادة الحنة لتكوين زخارف ترمز إلى صف القيس وكذلك استعمال العناصر ذات اللون الأحمر كاستعمال صحنون الخزف القاشاني ذات اللون الأحمر سالقة الذكر. واستعمل الشيد لتلوين زخارف صف اليمن.

قصر فارس مسعود - برقة